مقتطفات من كتاب

الأشباه والنظائر للخالديّين

— ١ —

لقد بحثنا في مقالين سبقا عن « الخالديّين » [١] ثم عن مؤلّفهما « كتاب الأشباه والنظائر » [٢] ، وها نحن نورد فيما يلي مقتطفات من الكتاب ليتبين القراء مدى أهميته في دراسة الشعر العربي ونقده ربما تذلّل بعض الصعوبات الناشئة عن أزمة الورق الحالية في طبعه .

— ١ —

قال الخالديان بعد المقدمة مفتتحَين الكتاب بالكلام على معنى قتال الأقارب والانتقام منهم :

قال المهلهل بن ربيعة [٣] :

١ بِكره قلوبنا يآلَ بكر نُغاديكم بمرهَفة النِصَالِ
٢ لها لَـونٌ من الهامات جَونٌ وان كانت تُغادى بالصقالِ
٣ ونبكي ، حين نذكركم ، عليكم ونقتُلكم كأنّا لا نُبـــالي

أبيات المهلهل هذه هي الأصل في هذا المعنى ومثله قول الحُصَين بن الحُمَام المرّي [٤] :

---

(١) راجع الجزء الأول من المجلد الخامس والعشرين من هذه المجلة .
(٢) راجع الجزء الثاني من المجلد ٢٦ من هذه المجلة .
(٣) من أربعة أبيات في الحماسة (ط بُن) ٩٣ – ٩٤ لرجل من بني عقيل حاربه بنو عمه فقتل منهم والرواية هناك « بكره سراتنا يالَ عمرو » كذلك أيضاً في العيون لابن قتيبة حيث يوجد البيتان الأول والأخير .
(٤) المفضلية ٦/١٢ والرواية هناك « يفلقن . » يعني الأسياف كما في الحماسة ٩٣ والآمدي ٩١ ، وفي الشعراء ٤١٠ « نفلق » كما هنا . قال الشاعر الشمر لما أكثر –

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نُفلّق هامًا من رجالٍ أعِزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلَمَا

وأخذه بعضهم فقال [1] :

١ قومي هم قتلوا ، أميم ، أخي فإذا رميت أصابني سهمي

٢ فلئن عفوتُ لأعفونْ جللًا ولئن قتلتُ[2] لأوهِنَنْ عظمي

وأخذه مالك بن مطفوق السعديّ فقال :

١ قتلنا بني الأعمام يومَ أُوارَة وعزّ علينا أن نكون كذلكا

٢ هم أحرجونا يوم ذاك وجرّدوا علينا سيوفًا لم يكنّ بواتكا

وأخذه حرب بن مِسْعَر فقال [3] :

١ ولما دعاني لم أُجبه لأنني خشيتُ عليه وقعةً من مُصمِّم

٣ فلما أعاد الصوتَ لم أكُ عاجزًا ولا وَكِلًا في كلّ دَهْياء صَيْلَم

– القتل في بني صرمة بن مرة وحلفائهم يوم دارة موضوع وكان قد ناشدهم الرحم بينهم وبين رهطه بني سهم بن مرة فأبوا ، انظر غ (= الأغاني) ١٢٥/١٢ و خ (= الحزانة) ٣٥٤/٣ . ويروى ان يزيد بن معاوية تمثل بهذا البيت لما وضع رأس الحسين بين يديه ، انظر العقد (ط ١٩٢٨ م) ١٣٧/٣ ومقاتل الطالبيين (تحقيق السيد أحمد صقر) ١١٩ وابن الأثير (الكامل ، ط ليدن) ٧٣/٤ .

(١) من قصيدة مختارة للحارث بن وعلة الذهلي – وقد خلطه القالي ٢٦٢/١ بالحارث بن وعلة الجرمي – قالها في قتل بن شيبان أخاه المنذر بن وعلة ، انظر اللآلي ٥٨٥ والآمدي ١٩٧ والحماسة ٩٧ والبيتان بدون عزو في غ ١١٨/١٠ والعيون ٨٨/٣ ، وجاء في جمهرة عمر بن شبة – رقم ١١٩٤ ادب بدار الكتب المصرية – ص ٧٨ ان المهلهل اوقع ببني الطماح وبني يقدم حتى أفنى بني يقدم وساق بني الطماح بين يديه ثم عرض عليه ان يعفو فلم يعفُ وقتلهم فلما نظر اليهم قتلى استعبر بالبكاء وقال :

ولئن عفوت لاعفون جللا ولئن أسأت لموهن عظمي

قومي هم قتلوا كليب أخي فاذا رميت يصيبني سهمي

(٢) بهامش ب « ن : رَمَيت » .

(٣) البيتان ٣ و ٤ له في نهج البلاغة (مصر ، ١٣٢٩ هـ) ٣٠١/١ والاولان للقتال الكلابي – مع البيتين الآتيين [« مقوّم » و « مندم »] وزيادة خامس – في البصرية (الدار ٥٢٠ أدب) ١٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٣ عَطفتُ عليه المُهرَ عطفةَ مُحرجٍ صؤول ومن لا يغشِم الناسَ يُغشَمِ (١)
٤ وأوجَرتُه لدنَ الكعوب مقوَّمًا نفرَّ صريعًا لليدَين وللفَمِ
٥ وغادرتُه والدمعُ يجري لقتلهِ وأوداجُه تجري على النحر بالدَّمِ

فأخذ هذا المعنى ديك الجنّ فقال في جارية كان يحبها فقتلها (٢) :

١ قمرٌ أنا استَخرَجتُه من دُجنّةٍ لبليّتي وجلَوتُه من خِدرهِ
٢ فقتلتُه وله عليَّ كرامةٌ ملء الحشا وله الفؤادُ بأسْرهِ
٣ عهدي به مَيتاً كأحسنِ نائمٍ والحُزنُ ينحر عَبرتي في نَحرهِ

والى المعنى الأول نظر أبو تمام في قوله (٣) :

١ قد انثنَى بالمنايا في أسنّته وقد أقام حياراكم على اللَّقَمِ
٢ جذلانُ من ظفر حرّانُ ان رجعت أظفارُه منكم مخضوبةً بدَمِ

ومن هذا المعنى أخذ البحتري قوله (٤) :

(١) في ب « من لا يعسِم الناس يُعسم » وثبت بالهامش « عسم الناس اقتحم فيهم وتوسطهم من الجد في حرب أو غيرها ، وذلك مثل قول زهير : ومن لا يظلم الناسَ يُظلم » اللسان : عسم أي رمى نفسه وسط الحرب ، زاد الجوهري : رمى نفسه وسط القوم في حرب كان أو غير حرب .

(٢) من ستة أبيات في غ ١٢/١٤٥ وخبرها أن ديك الجن اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص فتزوجها بعد ان أسلمت وكان اسمها وردا ثم رحل الى سلمية قاصدا لأحمد بن علي الهاشمي فاذاع ابن عم له على تلك المرأة انها تهوى غلاماً له وشاع ذلك الخبر حتى بلغ ديك الجن فعاد الى حمص وقتلها ثم بلغه الخبر على حقيقته واستيقنه فندم ، وله اشعار اخرى في ندمه على قتلها .

(٣) الديوان ٢٤٠ . اللقم : وسط الطريق .

(٤) من قصيدة يذكر فيها صلح بني تغلب وقبله :

تقتّل من وتر اعزّ نفوسها عليها بأيد ما تكاد تطيعها

الديوان (هندية ، ١٩١١ م) ٢/٣١٧ وانزاغب (الشرفية ، ١٣٢٦ هـ) ٢/٧٥ وانظر المثل السائر ٤٨٢ حيث جاء ان البحتري أخذ المعنى من أبي تمام وكساه عبارة أحسن من العبارة الأولى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اذا احتربت[1] يوماً ففاضت دماؤها[2] تذكرت القربى ففاضت دموعها

بيت البحتري أطرف وأبدع من بيت المهلهل الا أنه أرشده الى المعنى ودلّ عليه .
ومثله للقتّال الكلابي [3] :

١ فلما رأيتُ انه غير مُنتَهٍ أملتُ له كفّي بلَدنٍ مقوّمِ
٢ فلما رأيتُ أنني قد قتلتُه ندمتُ عليه أي ساعة مندمِ

— ٢ —

[ص ٦ معنى عَرف الحبيب بالديار]

وأنشد لبعض الأعراب [4] :

١ أرى كلّ أرض دمّنتها، وان مضت لها حِجَجٌ ، يزداد طيباً ترابُها
٢ ألم تعلمَنْ ، يارب ، ان ربّ دعوة دعوتك فيها مُخلصاً لو أُجابُها
٣ لعمرُ أبي ليلى لئن هي أصبحت بوادي القرى ماضرّ غيري اغترابُها

مثله للبحتري [5] :

لعمرُ الرسوم الدارسات لقد غدت بريّا سُعاد وهي طيبة العَرفِ

(١) ا « احتزنت » .
(٢) ا « دماؤنا » .
(٣) من ثلاثة ابيات في الحماسة ٩٥ و غ ٢٠/١٥٩ وخبرها ان القتّال كان يتحدث الى ابنة عم له يقال لها العالية بنت عبد الله فحلف اخوها لئن رآه ثانية ليقتلنه فلما كان بعد ذلك بايام رآه عندها فأخذ السيف وخرج القتال هاربا فبينا هو يسعى وقد كاد أخو العالية يلحقه وجد رمحا مركوزا أو صيفاً فأخذه وعطف عليه فقتله . والبيتان للقتال في البصرية ١٥ مع ثلاثة أبيات أخرى مضى الاثنان منها ضمن الكلمة لحرب بن مسعر . والأول مع بيت آخر في ت (التنبيهات) القالي ٢٦ .
(٤) من أربعة أبيات في الحماسة ٥ — ٥٨٤ . دمنتها أي أثرت فيها باقامة فعل مبني من الدمنة ، كذا في أصل العسكري (= ديوان المعاني) ١٦١/١ وبدله في المرتضى ١٤٨/٢ « أوطنتها » وفي النويري ٦٦/٢ « دُست فيها » .
(٥) الديوان ١١٢/٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مثله للنُميري [١] :

تضوّع مسكا بطن نَعمان ان مشت به زينبٌ في نسوة عطراتِ

قوله « يزداد طيباً ترابُها » مثل قول جميل [٢] :

١ ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بابطحَ فيّاحٍ بأسفله نَخلُ

٢ يفوح علينا المسكُ منه وانما بهالمسك انجرّت به ذَيلتها جُمْلُ

ولبعضهم [٣] :

واستودعتْ نشرَها الديارَ فما تزداد الاّ طيباً على القِدَمِ

ومن هنا أخذ العباس بن الأحنف قوله [٤] :

١ جرى السيلُ فاستبكاني السيلُ اذجرَى وفاضت له من مقلتَيّ غروبُ

٢ وما ذاك الاّ حين خبّرتُ أنهُ يمرّ بوادٍ أنت منه قريبُ

٣ يكون أجاجاً دونكم فاذا انتهى اليكم تلقّى طيبَكم فيطيبُ

أخذه ابن المعتز فقال [٥] :

فلما انتهى قولُ السلام وردُّه لفظن حديثاً عطّرَتْهُ الملافِظُ

أبو العباس الأعمى [٦] :

ليت شعري أفاح رائحة المسك وما ان اخالُ بالخيف انسيْ

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي وكان يشبّب بزينب بنت يوسف اخت الحجاج ، انظر غ ١٩٢/٦ والكامل (ط ليبسك) ٢٨٩ و ٣٦٧ والحصري ١٠٧/١ والعسكري ٢٦٠/١ والنويري ٦٦/٢ .

(٢) البيت الثاني مع آخر له في العسكري ٢٦٠/١ والنويري ٦٦/٢ .

(٣) شرح الحماسة ٥٦٧ و خ (= الخزانة) ١٣٦/٤ والراغب ١٣٩/٢ .

(٤) هي أربعة أبيات له في الديوان ١٨ و غ ٧٧/١٧ وكثيراً ما خلطت بأبيات اخرى للمجنون (غ ٦٣/٢) وابن الدمينة (العقد ١٤٤/٤) .

(٥) لم يثبت البيت في الديوان .

(٦) من أبيات مدح بها مروان بن محمد ، انظر غ ٥٧/١٥ والحصري ١١١/٢ والبيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون) ٢٣٣/١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أنشد ابن الأعرابي [١] :

١ على الميت [٢] من بطن الجزيرة كلما مررنا به أو لم نَمُرَّ ـ سلامي
٢ وما ذاك الاّ انّ زينبَ جرَّرت به الذيل لم تنزل لدار مُقامِ
٣ كأنّ تِجاراً تحمِل الطيب عرّسوا به ثم فضّوا فيه كلّ خِتامِ

وهذا كثير في أشعارهم قديماً ومحدثاً ، وأحسنُ ما قيل في هذا المعنى قول الشاعر [٣] :

١ وأنتِ التي حبّبتِ شغبا الى بَدى [٤] اليّ وأوطاني بلادٌ سواهما
٢ حللتِ بهذا حلّة بعد حلّة بهذا فطاب الواديان كلاهما

ومثله لأبي نواس [٥] :

لمن دمن تزداد حُسنَ رسومِ على طول ما أقوت وطيبَ نسيمِ

— ٣ —

[ص ١١ : من شعر عمرو بن الاطنابة]

عمرو بن الاطنابة [٦] :

١ أبت لي عفّتي وأبى بلائي وأخذي الحمدَ بالثمن الرّبيحِ

(١) لفروة بن حيضة الأسدي كان أحدث حدثا فطلبه السلطان فهرب وقال الأبيات بزيادة رابع ، كذا في الآمدي ١٠٥ والرواية هناك « بطن الحرية » بدل « بطن الجزيرة » و « زهرة » بدل « زينب » .

(٢) كذا ولعلها (الميث) بالثاء المثلثة .

(٣) من ثلاثة أبيات لكثير في الحماسة ٥٦٧ (أيضاً غ ٤/١٣٦) وهي أربعة له في د ١/٨٤ - ٨٥ والبلدان (شغبي) وهما في العسكري ١/٢٦٠ والحصري ٤/٥٤ لجميل .

(٤) في الأصول « شعبا » وفي ادب « ندى » مصحفا .

(٥) د ٨٨ .

(٦) الأبيات في العسكري ١/١١٤ ورواية ابن دريد عن الرياشي هناك أوفق الروايات للنص الوارد هنا وانظر اللالي ٥٧٤ واللباب ٤ - ٢٢٣ والعقد ١/٥٤ وحم البحتري ١٩ والكامل ٧٥٣ والعيون ١/١٢٦ والنويري ٣/٧ - ٢٢٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢ واعطـائي على المكروه مالي واقدامي على البطل المُشيحِ
٣ وقولي، كلما جشأت وجاشت ، مكانك تُحمدي أو تستريحي
٥ لأدفعَ عن مآثر صالحاتٍ وأحمي بعدُ عن عِرضٍ صحيحِ

أما قوله يخاطب نفسه « وقولي كلما جشأت وجاشت » فعليه فيه متعلق لأنه ذكر نفسه بالجبن وانها تدعوه الى الفرار وانه يقهرها بصبره [١] ، وفي الشعر مثل هذا كثير على العيب الذي قدمنا ذكره . وله أيضاً [٢] :

١ دُلُلٌ ركابي حيث شئتُ مشايعي لُبّي [٣] أروع قطا المكان الغافلِ
٢ أظُليمَ ما يُدريك كم من خُلّةٍ [٤] حسنٌ مدامعُها [٥] كظبية حابلِ
٣ قد بتّ [٦] مالكها وشارب قهوة دِرياقَةً أروبتُ منهـا واغِلي
٤ صهباءَ صافيةٍ ترى ما دونهـا [٧] قعر الاناء تُضيءُ وجهَ الناهلِ
٥ انسّى من القوم الذين انْتَدَوا [٨] بدءوا بحق اللهِ ثم النائلِ

(١) يعدّ ابن الاطنابة « من الشجعان الثلاثة الذين تنبين دلائل الجبن في شعرهم » كذا في العسكري . وأثر عن معاوية انه قال « والله لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين مراراً ما يمنعني من الانهزام الا أبيات ابن الاطنابة » انظر مجالس ثعلب ٨٣ ونهج البلاغة ١/١٨٨ و ٢/٢٨٦ والعمدة ١٠ (أيضاً الكامل والعيون) .

(٢) من كلمة في ٢٠ بيتا في ابن الاثير ١/٣ – ٥٠٢ و ١٣ بيتا في حم ابن الشجري ٥٦ ومنها الابيات ٥ – ٨ في الحماسة ٧١٤ والأبيات ٥ – ٧ في المرزباني ٢٠٤ .

(٣) كذا في حم ابن الشجري وفي الاصول « انسّى » وصححت في م .

(٤) ادب « حلة » وفي حم ابن الشجري « حرّة » وله وجه حسن .

(٥) روي في نظام الغريب للربعي (تصحيح بولس برونله ، مطبعة هندية) ص ١١ « حسن مراغمها » والمراغم والملاغم : ما حول الفم .

(٦) ادب « فديت » كذا في م أيضاً في الموضع الآتي وصححت هناك .

(٧) بهامش ب « ن : من دونها » .

(٨) في الاصول « ابتدوا » وقد صححت في ب و م وانتدوا أي جلسوا في النادي كذا في الحماسة والمرزباني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٦ المانعين من الخنا جاراتِهم والحاشدين [1] على طعام النازلِ

٧ والخالطين فقيرَهم بغنيّهم والباذلين عطاءَهم للسائلِ

٨ والضاربين الكبشَ يبرُق بيضُه ضربَ المهَجهَج عن حِياض الناهلِ

قد أخَذَ في هذه الأبيات أشياء وأُخِذَ منه أشياء فما أخَذَ قوله «ذلل ركابي حيث شئت» البيت . وهذا البيت بأسره لعنترة [2] الا أنا قد وجدنا مثل هذا في أشعارهم أشياء كثيرة ، فمن ذلك قول امرئ القيس :

وقوفا بها صحبي عليَّ مطيَّهم يقولون : لا تهلِك أسىً وتجمَّلِ

ولطرفة بن العبد مثله حرفاً بحرف الاّ انه جعل مكان «تجمّلِ» «تجلّدِ» [3] .

ومن تصفح أشعار العرب رأى من هذا عجائب وهم يسمونه التوارد وهو عندنا سرقة لا محالة . ومما أخذه أيضاً قوله «قد بتّ مالكها وشاربَ قهوة» البيت وهذا بأسره للبيد الا أنهما في عصر واحد فلا ندري ايُّهما أخذ من صاحبه . وأخذ أيضاً قوله «صهباء صافية ترى ما دونها قعر الاناء ...» وتمام البيت من قول الأعشى «تُريك القذَى من دونها وهي دونَه» [4] الاّ انه لم يأت بمثل كلام الأعشى ولا قاربه .

وأما ما أُخِذَ منه فقوله «والخالطين غنيّهم بفقيرهم» والبيت الآخِر أخَذَه منه حسان بن ثابت مصالتة فقال [5] :

(١) ا «الحاسدين» . وقارن قول قيس بن الخطيم «والحاشدون على قرى الاضياف» — د ق ١٥/٧ .

(٢) البيت في معلقة عنترة هكذا :

ذلل ركابي حيث شئت مشايعي لي واحفزه بأمر مبرم

(٣) يرى ابن قتيبة — الشعراء ٥٣ — ان طرفة أخذ من امرىء القيس . وهو من الأخذ القبيح ، كذا في الصناعتين ١٧٣ والمثل السائر ٤٧٢ .

(٤) الشطر الثاني : اذا ذاقها من ذاقها يتمطق ، — د ق ٢٣/٣٣ والشعراء ١٤٢ . وللأعشى أيضاً :

تريك القذى وهي من دونه اذا ما تصفق جِربالها

د ق ١٠/٢١ .

(٥) د ١٦ «الخالطون فقيرهم بغنيهم» الخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١ والخالطين غنيهم بفقيرهم والمنعمين على الفقير المُرمِلِ
٢ والضاربين الكبش يبرُق بيضُه ضرباً يطيحُ به بنانُ المَفصِلِ

وهذا أقبح ما يكون من الأخذ وليس هو من التوارد الذي يذكرونه لأنّ ابن الاطنابة من الأوس وحسان من الأنصار وهما من قبيلة واحدة وكان ابن الأطنابة أقدم من حسان فلذلك قلنا أخذه منه أخذاً .

— ٤ —

[ص ١٥ : من شعر قيس بن الخطيم]

قيس بن الخطيم [١] :

١ تبدّت لنا كالشمس تحت غَمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنّت بحاجبِ
٢ ولم أرَها إلاّ ثلثاً على منىً وعَهدي بها عذراءُ ذاتُ ذوائبِ
٣ فتلك التي كادت ونحن على منى تحُلُّ بنا لولا نجاءُ الركائبِ

قال الحاتمي : أخذ هذا المعنى أخذاً خفيّاً من امرئ القيس في قوله « قيد الأوابد » [٢] وهو [٣] قوله « نجاء الركائب » .

٤ ومثلِكِ قد اصبيْتُ ليست بكنّةٍ ولا جارة ولا حليلة صاحبِ [٤]

(١) الأبيات ، ما عدا البيت الأخير ، في د ق ٤/٣ و ٤ و ٢ و ٥ و ٨ و ١٠ و ٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٣ والقصيدة من المذهبات في الجمهرة ١٢٣ ومنتهى الطلب (نسخة الدار ٥٣ ش أدب) ٢/١٠٠ قالها في حرب حاطب وبعاث وقصتها ان حاطبا ، أحد بني عمرو بن عوف ، أجار رجلاً فكسع يهودي استه بأمر رجل من بني الحرث بن الخزرج فمد حاطب الى الخزرجي فقتله فخرج بنو الحرث حتى قتلوا حاطبا ثم تهيأ الفريقان للقتال فالتقيا بالرّدْم من بُطحان وهو واد بالمدينة وكان ذلك اليوم على الأوس . وراجع الأبيات ١ - ٦ في الجمحي ٥٦ والبيتين ٨ و ٩ في مجموعة المعاني ٣٦ وبعض الأبيات في حم البحتري ٥٦ و ٦٨ .

(٢) من المعلقة :

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجردٍ قيد الأوابد هيكل

(٣) ب و م « من » بدل « هو » .

(٤) لقيس أيضاً :

ومثلك قد اصبت ليست بكنة ولا جارة أفضت اليّ خِباءها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٥ أربْتُ بدفع الحرب حتى رأيتُها على الدفع لا تزدادُ غيرَ تقاربِ

٦ ولما رأيتُ الحربَ شُبَّ أُوارُها لبستُ مع البردَين ثوبَ المحاربِ

٧ وكنتُ امرءاً الأبعث الحربَ ظالِماً فلمّا أبَوا أشعلتُها كلَّ جانبِ

٨ اذا ما فرَرْنا كان أسْوَأ فرارِنا صدودَ الخدود وازْورارَ المناكبِ

٩ صدودَ الخُدود والقنا متشاجرٌ ولا تبرَحُ الأقدامُ عند[1] التضاربِ

١٠ يُعَرِّين بيضا حين نلقى عدوَّنا ويُغمَدن حمراً ناحلات[2] المضاربِ

١١ فإن غبتُ لم أُغفَل وان كنت شاهداً تجدني شديدا في الكريهة جانبي[3]

قوله «وان غبتُ لم اغفل» ضدّ قول جرير[4] :

ويُقضَى الأمر حين تغيب تيمٍ ولا يُستأذَنون وهم شهودُ

أخذ بشار قوله «تبدت لنا كالشمس» البيت في قوله[5] :

١ قامتْ تصدَّى اذ رأتني وحدي كالشمس بين الزِّبْرِجِ المنْقَدِّ

٢ ضنَّت بخدّ وجلَت عن خدٍّ ثم انثنَت كالنَّفَسِ المُرْتَدِّ

وما قصّر بشار في هذا المعنى بل جوّده وزاد[6] :

(١) ا «مثل» بدل «عند» .

(٢) ا «ماحلات» أي متغيرة اللون .

(٣) لا يوجد هذا البيت الأخير في المصادر السالفة الذكر ولكنه ينسجم مع ما جاء في آخر القصيدة في الديوان :

وغُيِّبْتُ عن يوم كنتني عشيرتي ويوم بُعاث كان يوم التغالبِ

ولم يكن قيس حضر يوم بُعاث .

(٤) د ١/٦٧ .

(٥) المختار من بشار ٢٢١ ونص الشارح ٢٢٣ على انه مأخوذ من قول قيس كما في العقد ٣/٤٢١ . وذكر في العسكري ان قول قيس مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدّت كأن الشمس تحت قناعها بدا حاجب منها وضنت بحاجب

(٦) قال شارح المختار من بشار ٢٢٣ : لم يفسد الآخر (لبشار) قول الأول (قيس) ولم يكن الأول بالمعنى اولى من الآخر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقوله « فتلك التي كادت [١] ونحن على منى » البيت يريد انا نظرنا اليها ونحن سائرون فلولا انّ الابل ، لما شُغِلْنَا [٢] بالنظر اليها ، سارت ونحن لا نعلم لكُنّا قد نزلنا [٣] ، وفيه قول آخر وهو انا كنا محرمين فكدنا ، بنظرنا [٤] اليها ، ان نحلّ فيفسد احرامنا [٥] .

وشبيه بهذا قول الشاعر :

وتستوقف الركبَ العِجالَ بطَرفها فما أحد يمضي من القوم أو تمضي [٦]

وقال آخر :

١ أغَرَّتْ [٧] بموضع أخمصيها طرفَها تحثو التراب بنظرة المستَرعَفِ

٢ أخذتْ بالحاظِ الركاب فلَعْلَعَتْ متقدّماً منهم على متخلفِ

وقوله « ومثلك قد أصبيت » البيت معنى جيد في الحفاظ وقد أخذه بعض المحدثين فقال [٨] :

(١) ا و م « كانت » وصححت في م .

(٢) م « شغلتنا .

(٣) قال حسان بن ثابت ، د ق ١٧/٥ :

ديار التي كادت ونحن على منى تحلّ بنا لولا نجاء الرواحل

وجاء في تفسير البيت : يقول لمعرفتها كدنا ان نقيم فلا نبرح لولا نجاء ابلنا كما قال قيس بن الخطيم ... الخ .

(٤) ا و م « نظر » بدل « بنظرنا » .

(٥) في د « قال الطوسي : أي تجعلنا حلالا ونحن حرام » .

(٦) م « يُمضى » .

(٧) كذا مع بعض الشك ، النمرة للاستفهام و « غرّت » أي الصفت ، يصفها بغض البصر وعدم التلفت الاّ أنّي لا استبعد ان يكون البيت هكذا :

أثَرَتْ بموضع اخمصيها طرَفه تحثو التراب بطرْفهِ المستَرعفِ

اثر خف البعير : سحى باطنه ليقتص اثره ، يصف المحب بمراقبة سيرها وإثآر النظر الى قدميها وهذا هو المعنى الذي نحن فيه .

(٨) من عدة أبيات للأحوص في غ ٢٦٤/٤ والقالي ٤٦/١ والحصري ١٥١/١ وهي من غير عزو في نهج البلاغة ٥٢٤/٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١ قالت ـ وقلتُ : تحرَّجي وصِلي حبلَ امرئٍ بوصالكم صبٌّ
٢ واصِل اذنْ بَعلي ، فقلت لها : الغدْرُ شيء ليس من شعبي [١]
٣ ثِنتان لا أصبو لوصلها عِرسُ الخليل وجارة الجَنبِ
٤ أما الصديق فلستُ خائنَه والجارُ أوصاني به ربي

هذا جيد الا ان الأول أجود لأنه جمع ما احتاج اليه من الكنة والجارة وامرأة الصاحب في بيت واحد ، وهذا أتى بالجارة وامرأة الصاحب في أبيات ولم يذكر الكنة ، وهذا المعنى كثير في أشعارهم قديمًا ومحدثًا [٢] .

وقوله « لما رأيت الحرب شبّ أوارها » البيت أراد بالبردَين الشجاعة والشباب ، ويجوز ان يكون أراد بهما ثوبَيْه . فأما قوله « ثوب المحارب » فهو الدرع لا محالة ، ثم قال في ذكر الفرار ما لم يقُله أحد جودة وحسن لفظ وصحة معنى . وقوله في ذكر السيوف « ناحلات المضارب » شبيه بقول النابغة [٣] :

ولا عيبَ فيهم غير انَّ سيوفهم بهنّ فلول من قِراع الكتائبِ

قوله « اذا ما فررنا » والبيت الذي بعده مأخوذ من قول الأعشى في يوم ذي قار [٤] :

مافي الخدود صدودٌ عن وجوههم ولا عن الطَّعن في اللّبات منحرفُ [٥]

وقال عبد الله بن رواحة في جواب قيس بن الخطيم عن شعره هذا الشعر [٦] :

(١) كذا في نهج البلاغة وبعض نسخ الأغاني ، ويروى « ضربي » .
(٢) اخذ هذا المعنى شاعر آخر فقال :
ضربت لها الميعاد ليست بكنة ولا جارة يخشى عليّ ذِمامها
كذا في نهج البلاغة ٤/٥٢٦ .
(٣) العقد الثمين ق ١/١٩ .
(٤) د ق ٧/١٦٤ .
(٥) م « ينحرف » .
(٦) د قيس بن الخطيم ص ٣٧ الأبيات ٧ ـ ١٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١ اذا غيّرت [١] أحساب قوم وجدتنا الى مَشْعَرٍ [٢] فيها كرام الضرائبِ

قوله « اذا غيّرت » البيت اي ان يشحّوا [٣] بعد الجود لما صاروا اليه من الشدة والجهد في سنة قد تقدم ذكرها في الشعر .

٢ نُدافع عن أحسابنا بتلادِنا لمُفتقِر أو سائل الحقّ واجبِ

٣ وأعمى هدَته للسبيل تحُلُومنا وخصم أقمنا بعد تلجيج شاغبِ [٤]

٤ ومعترَكٍ ضنكٍ ترى القومَ وسطه مشينا له مشيَ الجمال المصاعبِ

أخذ قوله « مشينا له » من النابغة في قوله [٥] :

اذا نزلوا عنهن للضرب أرقلوا الى الموت إرقالَ الجمال المصاعبِ

— ٥ —

وقال رفاعة بن خالد [٦] الواقفي من الأنصار [٧] :

(١) يروى « عُيِّرت » بالعين المهملة .

(٢) بهامش م « معشر صح » وبهامش ب « لعله معشر » ولا حاجة الى التصحيح فان المشْعَر هو الشجر الملتف .

(٣) م « شحوا » ا « تسخوا » .

(٤) ا « تلحيح ساغب » ب « تلحيح شاغب » والرواية في الديوان « بعد ما لجّ شاغب » .

(٥) العقد الثمين ق ١/١٦ ، وهو من المعاني التي سبق اليها النابغة كذا في المنثور والمنظوم لابن طيفور (رقم ٨٨١ ادب بالدار) ص ١٠٠ ، ولقيس بن الخطيم — د.ق ٤/١٣ — مثل قول النابغة تماماً :

رجال متى يُدعَوا الى الموت أرقلوا اليه كارقال الجمال المصاعبِ

(٦) كذا ، الا اني أميل الى ان يكون « خالد » تصحيفا لـ « زنبر » و « رفاعة ابن زنبر » ذكره ابن الأثير في اسد الغابة ٢/١٧٩ [وقد فرّق أبو نعيم بينه وبين « رفاعة ابن عبد المنذر بن رفاعة بن زنبر » الذي لم يعقب — أسد الغابة ٢/١٨١ — كذا أورده ابن حجر مع ان ابن حجر كان يميل الى انهما واحد ، انظر الاصابة ٢٦٥٩ و ٢٧٥٧] .

ثم هل « رفاعة بن زنبر الواقفي من الأنصار » هذا هو والد « قيس بن رفاعة » الآتي ذكره ؟ لقد ذكر ابن حجر — الاصابة ٧١٦٣ — قيس بن رفاعة [ولا يهمنا —

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١ لامهاذير في النَّديّ ولا ينـــفكُّ فيـه لهم ندى وسماحُ
٢ منهم الذائدُ الكتيبة بالسَّيـــفِ كما يكشف السحابَ الرياحُ
٣ فيهم للملا يِنَيْنَ أناةٌ وطِماحٌ اذا يُراد الطِّماحُ
٤ ومداريكُ للذُّحول مبا ذيلُ اذا قلَّ في السِّنين اللِّقاحُ

– في هذا المقام الترجمة الأخرى ٧١٦٤ لقيس بن رفاعة الأنصاريّ فانهما رجلان اثنان يختلف نسبهما كما جزم بذلك صاحب الخزانة ٤٩/٢] عن المرزباني ٣٢٢ ونصّ على أنه واقفي انصاريّ [مجموعة المعاني ١٤٩ « قيس بن رفاعة الأنصاري » والبصرية ١٤ « قيس بن رفاعة الواقفي »] كما أن المرزباني ٢٣٤ ذكر أيضاً « عمرو بن رفاعة الواقفي الأوسي » – هكذا في ابن الجراح – وربما قيل عن هذا الشاعر له « ابو قيس بن رفاعة » كذا سماه الجمحي ٧٢ وهو في حم البحتري ٢٤ « ابوقيس ابن رفاعة الأنصاري » وقال البكري في اللآلي ٥٦ « هكذا رواه ابو علي قيس ابن رفاعة في أماليه (ص ١١) ورويته في اصلاح المنطق عن يعقوب : « أبو قيس بن رفاعة ، وهو الصحيح واسمه دِثار » الا ان البكري قال أيضاً في التنبيه ٢٢ « انما هو أبو قيس بن أبي رفاعة ، واسمه دِثار » وهذا الاسم « دِثار » هو في العيني ١٦٧/١ عن اللآلي « دِينار » ولا يخفى ان « دينار هو تصحيف شائع قديم لـ « زنبر » وقد نبه على هذا بالتفصيل ابن الأثير ١٨٢/٢ (انظر أيضاً الاصابة ٢٧٥٧) وأرى أن « دثار » ليس إلا تصحيفاً آخر لنفس الكلمة . واذا تأكدنا من كلمة « زنبر » فالأرجح ان نفسر كلام البكري بان « زنبر » هو اسم « ابي رفاعة » فيكون النسب هكذا : قيس بن أبي قيس رفاعة بن أبي رفاعة زنبر ، – ومن هذا يتضح مدى سوء الفهم الذي نشأ من اسقاط كلمة « أبي » قبل « رفاعة » [ومن حسن الحظ انها بقيت في التنبيه] ثم من تصحيف « زنبر » الى « دثار » و « دينار » وتبادر الذهن الى انه اسم لأبي قيس (بدل « أبي رفاعة ») . وبناء على ما ذهبنا اليه يكون الشك من الرواة فيما اذا كان القائل قيساً أو أباه لا في اسم القائل هل هو قيس أو أبو قيس .

على كل فمما لا شك فيه ان رفاعة هذا وقيس بن رفاعة الآتي ذكره كلاهما من بني واقف واسمه مالك [« سالم بن مالك بن الأوس » في التاج (وقف) عن الصحاح والسمعاني (الواقفي) والمعارف لابن قتيبة ٥٥] بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس . وكثيراً ما خلط الناس بين « ابي قيس بن رفاعة » و « ابي قيس بن الأسلت » (انظر العيني ١٦٧/١) لأن الاخير هو أيضاً ينسب الى واقف مع أنه من وائل ، كذا في ابن هشام ١٧٨ .

(٧) نسب البيت الثالث الى قيس بن الخطيم في حم البحتري ١٦٦ (عنه في د ص ٤٣) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

[الرواية : القلاح [١]] [٢] .

وقال قيس بن رفاعة [٣] :

١ إن نصبح اليوم قد خفّت مجالسُنا والموتُ أمرٌ لهذا الناس مكتوبُ

٢ فقد غَنِينا وفينا سامِرٌ غَرِدٌ وصارخٌ كأتِيّ السَّيل مَرهوبُ [٤]

— ٦ —

[ص ١٨]

وقال القتّال الكلابيّ :

١ لقد وَلَدَتْ عوفَ الطِّعانِ ومالكا وعمرو العُلى والحارثَ المتنجِّبا [٥]

٢ رجالٌ بأيديهـا دماءٌ ونائِلٌ يكادُ على الأعداءِ ان يتحلّبا

ومن هذا أخذ البحتري قوله [٦] :

١ وصاعقة في [٧] كفّه ينكفي بها على أرؤس الأبطال [٨] خمسَ سحائبِ

٢ يكادُ النَّدى منها يفيض على العِدى مع السيف في ثِنْيَيْ قنا وقواضبِ

(١) تقلح فلان البلاد : تكسب فيها في الجدب ، كذا في التاج ، ولعل هذا المعنى هو المراد هنا والا فالقُلاح صفرة تعلو الأسنان لا غير .

(٢) ثبت ما بين المقفين بهامش م لا بالمتن .

(٣) البيتان مع ثالث في المرزباني ٢٣٤ لـ « عمرو بن ثعلبة وقيل (هكذا في ابن الجراح) عمرو بن رفاعة الواقفي الأوسي الجاهلي » وانظر اللآلي ٥٦و٧٠٢ .

(٤) قارن قول قيس بن الخطيم ، د ق ١٤/٤ :

إذا فزعوا مدّوا الى الميل (الليل) صارخاً كموج الأتيّ المُزبِد المتراكبِ

(٥) ا « المتخبّا » م « المتجنّبا » وهذا الأخير تصحيف .

(٦) د ٧٣/١ والعسكري ١١٧/١ والمعاهد ٢٤٠ .

(٧) ا « من » بدل « في » .

(٨) ا « الأعداء » كما في المثل السائر ٢٢٩ وفي د « الاقران » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والبحتري وان كان أخذ المعنى وأتى به في بيتين فقد جوّد وأحسن وفاق على وِفاقٍ [١] الأوّل بما أبدع في المعنى الأول وزاد لأنه صيّر السيفَ صاعقةً فيجوز ان يكون أراد حديدة من صاعقة على ما يحكي بعض الناس في الصواعق ، ويجوز أن يكون شبه السيف بالصاعقة لحدّته وانه يتلف ما مرّ به ، ثم ذكر انه ينكفي به على أرؤس الأبطال خمس سحائب يعني أصابع الممدوح [٢] ، ومن النادر في هذا البيت انه صير السحائب مع الصاعقة اذ كانا من جنس واحد ، وتقول الفلاسفة ان الصواعق تكون مع السحائب الصّيفية دون الأمطار المطبقة في الشتاء ، ومما يقوّي هـذا القولَ قولُ لبيد يرثي أخاه أربَد وقد أحرقته الصاعقة [٣] :

أخشى على أربدَ الحُتوفَ ولا أرهبُ نوءَ السِماكِ والأسَدِ

وهذان الكوكبان من منازل القمر مطلعها في آخر الربيع وأوّل الصيف وهذا هو الحذق في الشعر وأخذ معانيه ، ومن أخذ المعنى هذا الأخذ فهو أحقُّ به ممن ابتدعه ..... وبعدُ وقبلُ فقد سبق البحتري جميع الشعراء في هذا المعنى حُسناً وملاحة وصحة وفصاحةً .

يتبع : (القاهرة) الدكتور محمد يوسف

(١) ب « البيت » مكان « وِفاق » مع أثر الحكّ ، وليس هناك سهو .

(٢) جاء في العسكري : هذا البيت أجود ما قيل في معناه ، جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب سحائب تجود على المؤملين بغيثها وتقتل معاديه بصاعقتها ، وفي المثل السائر ٢٢٩ : وهذا من النمط العالي الذي شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر الى استعارته والمراد بالسحائب الخمس الأصابع .

(٣) صار أربد (مع عامر بن الطفيل) الى النبي ﷺ ليقتله فأصابته صاعقة فهلك فقال فيه لبيد البيت ، انظر د ١٧ واللآلي ٢٩٧ — ٢٩٨ والآمدي ٢٩ والمرزباني ٢١٠ والشعراء ١٥١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net